مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية – سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (18) العدد (9) 1996
Tishreen University Journal for Studies and Scientific Research – Arts and Humanities Series Vol. (18) No (9) 1996

مفهوم البطل الإيجابيّ

الدكتور يعقـوب البيطـار*

ملخص

إن الكاتب انطلاقاً من رؤيته للحياة، يستطيع أن يكتشف القوى المحركـة للمجتمـع، فيبني منظوره للمستقبل على أساس واقعيّ علميّ، لذلك، فهو يبني مثاله على أساس منطقـيّ، يتجسم في البطل الذي يستمدّ من الحياة الاجتماعية. إنه معنيّ بتحليل العيوب الاجتماعية، لكي يساهم في تجاوزها والانتصار عليها، وذلك من خلال الانعكاس الصادق، والمحـدد تاريخيـاً للواقع، ومن هنا، فإن الكاتب يحقق بوعي، هدفاً معيناً، هو تربية الإنسان لذلك يجب أن يكوّن شخصيّات نموذجية، في مواقف نموذجية، ويبرهن علـى الطـابع العـام لعمليـات التحـول الاجتماعي، من خلال صور فردية للأشخاص والأحداث وتحليل العلاقات بطريقة لا تعكـس اتجاهات الماضي والحاضر فحسب، وإنما تسير أيضاً وفق طبيعة تطورها في المستقبل.

* مدرس في قسم اللغة العربية – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة تشرين – اللاذقية – سورية.

مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية - سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (18) العدد (9) 1996
Tishreen University Journal for Studies and Scientific Research – Arts and Humanities Series Vol. (18) No (9) 1996

The Concept of the Positive Hero

Dr. Yacob BITAR*

❐ ABSTRACT ❐

Depending on his world view, the writer can discover the prime mover of society. His vision of the future will be based on a realistic and scientific basis. Hence his ideals will be architected on a logical foundation embodied in the hero, who should be socially defined. The writer analyses the social problems for the sake of remedying them. His perspective is a true reflection which gives reality its historical co-ordinates. In this way, the writer can educate people. This entails the use of ideal characters in ideal situations, so that the very process of the social transformation will be revealed. The specific representation of the individuals and the events should reflect not only the trajectories of the past the present but the nature of the future developments as well.

* Lecturer at Arabic Department, Faculty of Arts and Humanities, Tishreen University, Lattakia, Syria.

إن أهم شروط العمل العلمي في المجال الأدبي -كما وضح ديترفو كل في دراسته الموجزة- هو موضوع تحديد مهمة الأدب[1]. وهذه المهمة تتمثل في الانعكاس الأخلاقي الفعّال المتعدد الأشكال للمواضيع الاجتماعية التاريخية التي تهدف إلى تكوين ضمير الإنسان وبكلمات أخرى، يجب أن يكون للأدب تأثير في تطوير الشخصيات انطلاقاً من نظرتها العالية ومتطلباتها العقلية. وهذا يتطلب ضرورة وجود صورة إنسانية ذاتية، بحيث يستخدم الكاتب لتطويرها أنماطاً معينة من الأبطال، تكون قادرة على المساهمة في توضيح وإبراز صورة الإنسان الجديدة.

وعلى الكاتب أن يدرك أنّ مفهوم البطل لمجتمع ما، وفي عملية بناء المجتمع كخطوة لاحقة، لم يكتسب محتوى جديداً وحسب، وإنما فرض خلق طراز جديد وهنا نرى أنّه يجب علينا أن نقف عند مفهوم البطل لنعرض -بإيجاز- بعض وجهات النظر المختلفة، حول هذه المسألة التي عولجت كثيراً في المناقشات العلمية الأدبية، فكر ستيل برغر في دراستها الموسعة لإشكالات البطل. ترى أنّ مفهوم البطل في الاستخدام الدارج، يعني دائماً حكماً إيجابياً على شخصية ذات قيم معينة[2]. وبالمقابل فإنّ صورة البطل في العمل الأدبي تكون وسيلة فنية لتبيان تصوّرات القيم والمفاهيم المختلفة والتي تُربط أحياناً حتّى مع المفهوم الدارج[3].

وانطلاقاً من فهم شامل وواسع لمفهوم البطل من ناحية، ولتجنب أيّ ربط بالاستخدام الدارج من ناحية أخرى، فإننا نقترح استخدام المفهوم المطلق (شخصية). مع اشتقاقاته، - شخصية رئيسية، شخصية ثانوية عوضاً عن مفهوم البطل المرتبط لا إرادياً بصفات إيجابية[4].

وعلى أية حال، فإن صفة المطلق هنا تسري على المفهوم كمفهوم، ولا تسري على الشخصية التي يصورها الكاتب، فهذه الشخصية واقفة في مكان ما من مدرّج التقييم بين الإيجابيّ والسلبي، وبين القبول والرفض، أي أنّها خاضعة لمعايير التقييم. وحينما ذكرنا في البداية أنّ المؤلف يستخدم لتكوين صورة الإنسان في مجتمع ما أنماطاً معينة من الأبطال، أي من الشخصيات ذات الصفات الأخلاقية والسياسية والثقافية المختلفة، فإن ذلك يتضمن بطبيعة الحال تقييماً يجريه المؤلف، وهذا ينتج بشكل تلقائي عن

---

[1] Siehe Wuckel, D.: "Litreratur", in: Kasper, K. und Wuckel, Dr. (Hrsg), Grund begriffe der Literaturanalyse, 2. Aful. Leipzig 1985, S. 27ff.

[2] Siehe Berger, Che.: Der Autor und sein Held, Berlin 1983, S, 19.

[3] Ebenda, S.19.

[4] ebenda, S.20.

القاعدة العامة النافذة في مجال التصوير الأدبي.

انطلاقاً من ذلك نرى، أنّ وراء مفهوم البطل الذي نودُ أن نحافظ عليه -بالرغم من المفاهيم القائمة المتضاربة- شخصية أدبية فاعلة ومؤثرة، سواء أكان ذلك سلباً أم إيجاباً، وبين هذين الطرفين النهائيين، تقع كل الاحتمالات الممكنة الأخرى.

وبالرغم من أنّ تعريف البطل، لا يمكن أن يدخل في معايير جامدة، فإننا نرى أن المعايير والقواعد التالية ذات أهمية:

آ- يجب أن تكون أعمال وتصرّفات البطل متطابقة مع المتطلّبات التاريخية الموضوعية.

ب- يفترض وجود بعض المواصفات، كالمستوى الأخلاقي العالي، والاستعداد للعمل.

جـ- أن يكون البطل بإمكاناته فاعلاً لا منفعلاً في الصراعات والمجريات الاجتماعية، والجدير بالذكر أنّ الكاتب يستطيع أن يصوّر بطله، انطلاقاً من الرؤية التي ترسي مفهوماً محدّداً للمعالجة النقدية، كما أنّها تعدُّ معياراً سليماً في اكتشاف صدق العلاقة بالواقع.

ومن هنا نرى أنّ صورة البطل قد تعكس موقف الكاتب العقائدي وانتماءه الفكري الذي جاء استجابة لتحقيق التفاعل بين تجربته ومعاناته على أرض الواقع، إنّ هذه الرؤية تشكل جزءاً لا يتجزّأ من عملية الإبداع الفني لدى الكاتب الذي يبرز في أبطاله النزعة الإنسانية، والتعبير عن روح الجماعة وغيرها من المبادئ الفكرية والقيم الجماعية والقيم الجمالية التي يتمّ بوساطتها الكشف عن القوانين الرئيسية لتطوّر الإنسان وتقدّم المجتمع.

وتتزايد في عالمنا المعاصر حدّة الصراع الأيديولوجي، وينعكس ذلك في مختلف مجالات الحياة والمعرفة، ومن بينها علم الجمال. ومفهوم "الإيجابيّ" من المفاهيم المثيرة للجدل والنقاش، والتي يجري حولها صراع حادّ.

"ويمكن القول: إنّ خطيئة الفكر الجمالي البرجوازي المعاصر الأساسية تكمن في أنّه يفسّر الفنّ باعتباره شكلاً من أشكال الوعي منفصلاً عن العالم والواقع، أي شكلاً مجرداً، وهذا هو منبع التشويه الذي تتعرّض له طبيعة الفنّ"[5].

ومن بين المنظّرين والفنّانين من ينفي إمكانية التعميم الفني لجوانب العالم الواقعي النموذجية من خلال الصورة الفنية، وينكرون وجود الحقيقة الفنية، ويعتبرون نزوع الفن إلى عكس الحياة بالصور الفنية خضوعاً للواقع يجب تجاوزه تحت شعار حرية الإنسان الداخلية.

---

[5] أدفيناكوف، خاربشنكو، جماليات الصورة الفنية، ص3.

إن الفنان لا يأخذ من الخارج مفهوماً مجرداً عن ماهية القوة الاجتماعية التي يمثلها بطله، ثم يجسد هذا المفهوم في صورة فردية، بل ينطلق من قبل الواقع الذي يعيشه محاولاً اكتشاف القوى المحرّكة للمجتمع، فيبنى منظوره للمستقبل على أساس واقعي علمي، وهذا المنظور ينعكس من خلال صورة (المثال) البطل الذي يبنيه على أساسٍ منطقيّ.

"وحين ينشئ الفنان الصورة، يركّز اهتمامه بالضرورة على بعض من عناصر الحياة، ذلك لأنه لا يستطيع أن يتحدّث عن كلّ شيء بحكم خواصّ الفنّ ذاته، ومن الجليّ أنّه من الأهمية القصوى هنا اختيار الفنان لتجليات الحياة التي يركّز عليها اهتمامه: "تجلياتها الرئيسية أو الثانوية"[6].

ويعرف الفنّ في ممارساته أشكالاً وطرقاً مختلفة لتجسيد المثل الأعلى من خلال البنية الصورية للمؤلّف. وإحدى هذه الطرق تقوم على تشخيص المثل الأعلى في صورة بطل.

"إنّ المثل الأعلى مشخّص دائماً تاريخياً وقومياً، وهذا يحدّد إلى مدى بعيد النماذج التي ينشئها التفكير الفنّي الصوري لمختلف العصور ومختلف الشعوب، على سبيل المثال الفرق بين بنية الصورة في فنّ الرومنطيقية، وفي الفنّ الواقعي للقرن التاسع عشر، هذا الفرق سببتّه بالطبع التصوّرات المتباينة عن المثل الأعلى.

فبالنسبة إلى الرومنطيقيّ يبحث عن مثله الأعلى في الماضي البعيد أو في عالم الحلم، الخيال الذي لم يتحقّق.

أمّا الواقعيّ فتجسيد المثل الأعلى بالنسبة إليه لا يعني أبداً خلع صبغة مثاليّة فكرية على الحياة، أو قسرها على الدخول في نظام مقاييس جمالية أعدّ سلفاً"[7].

إنّ صورة البطل تتجلّى بشكل متميّز في الفنّ الروائيّ كنمط أدبيّ يصوّر عملاً ملحمياً كبيراً يستوعب مظاهر الحياة وتنوّعها، ويسرد في صورة شاملة قصّة حياة شخصية أو عدّة شخصيات مبيّناً تطوّرها وتفاعلها بالظروف الحياتية المحيطة بها، وباستطاعة الرواية أن تستوعب حياة الناس ومصائرهم والتطوّرات الفكرية، وهي تراعي تنوّع الطبائع الإنسانية.

ومادام البطل يولد من رحم المجتمع، بمعنى أنّه انعكاس للواقع الاجتماعي، فهو بهذا المفهوم يعدّ خلقاً بحتاً، ومن ثمّ، فسيعرض الباحث لطبيعة البنية الاجتماعية وكنه البناء الاجتماعي ودور الفرد ووضعه الاجتماعيّ... وطبيعة الطبقة والوضع الطبقيّ وطبيعة العلاقة بينه وبين السلطة أو ما يعرف بالضبط الاجتماعي، ومدى تقبّل الفرد للقيم السائدة

---

[6] مرعي، فؤاد، أسس علم الجمال الماركسي اللينيني، ص16-17.

[7] المرجع السابق، ص30-31.

في المجتمع أو تمرّده عليها ومدى تفاعله مع القيم الجديدة وامتصاصه لمضامينها.. فمشكلة البطل هي في التحليل الأخير مشكلة المجتمع، وثمّة سؤال يطرح نفسه: ما أثر التغيّر في البناء الاجتماعي على الفرد وبالتالي البطل؟

"إنّ الباحث عندما يتحدّث عن التغيّر هنا، فإنما يعني التغيّر الاجتماعي بالمعنى العميق للكلمة.. أي ما يطرأ على البناء من تغيّرات جذرية في أنساقه ووظائفها، كما يعني أيضاً القيم السائدة في هذا البناء وما يعتورها من تغيّر. فالبناء عمليّة مستمرة، تتمثّل في الحركة الدائمة الدائبة المتصلة بتفكك العلاقات الاجتماعية ثمّ عودة تركّبها، وهذه مسلّمة أولى يتعيّن علينا أن نكون على وعي عميق بها، ولذا، يجب ألاّ نخلط بين "نشاط الأفراد داخل البناء وبين تغيّرات البناء التي تكوّن وحدها "التغيّر الاجتماعي"، وفي داخل هذا الإطار البنائي يمكن النظر إلى مشكلة البطل بوصفها ثمرة للعلاقة بين القوى المنتجة في المجتمع، ومعنى هذا أنّ صورة البطل تبدأ بالتغيّر عندما يتغيّر البناء، بحدوث صدع في البناء، وهنا يكمن منحى التغيّر في صورة البطل"[8].

والذي ينظر إلى صورة البطل المعاصر في الرواية الحديثة يدرك تماماً أنّ البطل في أزمةٍ، وهذا الأزمة مصدرها التناقضات في البنى الاقتصادية والسياسية والأيديولوجية... التي تعيشها المجتمعات المعاصرة.

"ويكاد يجمع النقّاد على أنّ الرواية تصوّر بطلاً من نوعٍ جديد، فالبطل المعاصر في الرواية إنسان عاديّ بكلّ ما في هذه الكلمة من معانٍ، وهذا ما جعل النقّاد يطلقون عليه: "البطل غير البطولي "Unheroic Hero" فبعد أن كان من المألوف في الرواية الكلاسيكية أن يقوم شخص من أشخاصها بدور البطولة، فيركّز الروائي اهتمامه على تصوير أبعاد شخصية البطل، وتكون هي محور الرواية والرابطة بين مختلف شخوصها لم يعد يتمتّع بفضائل ينفرد بها دون جميع الناس، هذا التطوّر في صورة البطل يعدّ "دالة" لما طرأ على المجتمع المعاصر من تغيّر، علاوة على أنّ هذا التطوّر لا ينفصل عن الفلسفة السائدة للعصر، بل هو معبّر عنها وثمرتها"[9].

لقد فرز الواقع المعاصر صوراً متباينة للبطل الروائي في الآداب العالمية، فبعد أن هوى نجم البطل الرومانسي "الذي يحوّل الخارج ببساطة إلى (طبيعة) ليست في الحقيقة إلاّ تضخيماً لمشاعر الذات، و"مجتمع" يطغى عليها ويحرمها حقوقها الطبيعية"، ظهرت صور أخرى للبطل في

---

[8] الهواري، أحمد إبراهيم، البطل المعاصر في الرواية المصرية، ص15-16.

[9] المرجع السابق ص157.

الرواية المعاصرة، ولعلّ حركة التاريخ منذ الانقلاب الصناعي وحتّى الآن شكّلت البؤرة المليئة بالمتناقضات، حيث ساهمت في فرز "البطل -الجماعة- الطبقة" بينما اختفت كلّ قيمة لدور الفرد في الوقت الذي تضخّم فيه شعور بفرديته مما أسفر عن مشاعر ممتلئة بالاغتراب والعجز والانفصام.

وربّما بدت أزمة الفردية أكثر وضوحاً في إطار الحضارة العلمية الحديثة، إذ تحوّلت البورجوازية بفلسفتها الليبرالية إلى بورجوازية احتكارية متسلطة، ولم يعد بوسعها أن "تقدّم بطلاً ثوريّاً". لقد كانت في الماضي تثور على نفسها وتنتقد نفسها، إذ لم يكن ثمّة خطر حقيقيّ من عدوّ متربّص، أمّا الآن فلم تعد الطبقة المتوسطة تحتمل النقد لأنّها تبصر أكفانها تعدّ. ومع أنّ البطل البيروني قد استمرّ في الحياة، فإنّ أحداً لم يعد يأخذه مأخذ الجدّ.. لقد انتهى البطل الذاتي بالكفر بالذاتيّة، ومعنى ذلك انتهاء عصره"[10]. لقد أصبح هذا البطل على استعداد لأن يكتشف أنّ القوى المناوئة ليست هي القوى الشرّيرة بل ذاته التي تشرّبت قلقاً من نوعٍ جديد غير مستحب.

إنّ الكاتب انطلاقاً من رؤيته للحياة، يستطيع أن يكتشف القوى المحركّة للمجتمع، فيبني منظوره للمستقبل على أساس واقعي علمي، لذلك فهو يبني مثاله على أساس منطقي، يتجسم في البطل الذي يُستمدّ من الحياة الاجتماعية، أنّه معنيّ بتحليل العيوب الاجتماعية، لكي يساهم في تجاوزها والانتصار عليها، وذلك من خلال الانعكاس الصادق والمحدّد تاريخياً للواقع، ومن هنا، فإنّ الكاتب يحقّق بوعي هدفاً معيّناً، هو تربية الإنسان لذلك يجب أن يكوّن شخصيات نموذجية في مواقف نموذجية، ويبرهن على الطابع العامّ لعمليات التحول الاجتماعي من خلال صور فردية للأشخاص والأحداث، وتحليل العلاقات بطريقة لا تعكس اتجاهات الماضي والحاضر فحسب، وإنّما تسير أيضاً وفق طبيعة تطورها في المستقبل[11].

وثمة سؤال يطرح نفسه: ألا يحقّ لنا أن نطلق سمة الإيجابيّ على بطل أدبي سبق ظهوره عصر الواقعية الاشتراكية؟

للإجابة عن هذا السؤال ينبغي الوقوف عند كلمة: "الإيجابي"، فإذا كانت الإيجابيّة تقتصر على الرؤى الإصلاحية، أو الكشف والانتقاء، أو الثورة الفردية أو الجماعية ذات الرؤى البورجوازية، فإن البطل يبقى منفعلاً، لا يملك من الإيجابية إلا ما هو مقدمة لما يمكن أن نسميه سمة الإيجاب، هذا في أحسن حالات البطل، وعلى الرغم من ذلك، فقد يقول قائلٌ ما:

---

[10] عيّاد شكري، البطل في الأدب والأساطير، ص157.

[11] المرجع السابق، ص158.

إنّ بطلاً كعنترة بن شـدّاد، -وهـو أحـد أبطال أدبنا الشعبيّ- يملك سـمات تجمـع بينه وبين البطل الإيجابيّ، فكلاهما يعـيش للجماعة وفي الجماعة[12]. والحقّ أنّ علاقة عنترة بصورة البطـل الإيجـابيّ علاقـة تضمّن لا علاقة شمول، ومن هنا لا يمثّـل عنترة صورة البطل الإيجـابيّ بـالمفهوم المعاصر، وذلك لأنّ الظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية المتطـوّرة التـي يعيشها إنسان القرن العشرين قد خلقت بوناً واسعاً بين ما هو إيجابيّ بالمنظور القـديم وما هو إيجابيّ بالمنظور المعاصر بفعـل التطوّر الحضاري الهائل.

"إنّ الإيجابية تعني القـدرة علـى الاستجابة والاحتكـاك والتفاعـل بالنسـبة للأحداث المعروضة، وليس من الضروري أن تكون نتيجة هـذا كلـه تصـالحاً مـع الظروف، وطواعية حيالها، فقد تتجلّى هذه القدرة الإيجابيـة حتـى فـي الاسـتجابة السلبية.. الاستجابة بالرفض، والاحتكـاك بالرفض، والتفاعل بالرفض. وعلـى هـذا النحو يتضح الفرق جليّاً بـين مثـل هـذه الشخصية الإيجابية -روائياً- والشخصـية غير الإيجابية، التي قد تتصالح مع الحيـاة للوهلة الأولى، ويستمر هذا التصالح، أو لا تتصالح معها، ويتسـمرّ عـدم التصـالح، ولكنّها غير قادرة -في الحـالتين- علـى مواجهة المواقف المعقّدة المركبّـة التـي تحفل بها الحياة مواجهة توازيها في التعقّد والتركيب، ذلك لأن مواجهة الحياة علـى هذا النحو تقتضي أن يتـوافر للشخصـية تركيب نفسيّ معيّن، وديناميكيـة داخليـة معينة.

ولا يقصد بهذه الشخصية الروائية المخدومة بعناية أن تؤدي دوراً محـدوداً، كأن ترمز إلى فرد معيّن، أو حتّـى إلـى طراز ميعّن من الناس الذين تضطرب بهم الحياة من حولنا، ولكنّها قد توضع معادلـة لجيل بشري بأسره، أو إلى مرحلـة مـن الحياة بأسرها"[13]. وطبيعي أن يكون البطل هنا إيجابياً. "بمعنى أنّه يعبّر عن الرغبـة في إقامة دعائم المجتمع الجديد، والـدفاع عن هذا المجتمع من هجـوم أعدائـه. ولا يعني ذلك أنّ هذه المجتمعات تخلـو مـن نماذج سـالبة إذ أنّ ذلـك إنكـار للواقـع الاجتماعي وما يثمره من عطاء"[14].

تؤكد الدراسات الحديثة أن تحديـد صورة البطل في النتاج الروائي ينطلق من الموقع الأيديولوجي والعقائدي الذي يحمله الكاتب، ويلعب الوضع الطبقـي للأديـب دوراً كبيراً في تحديد مرتسـمات البطـل، على أن الباحثين المحدثين لا ينطلقون فـي دراساتهم في فرضيّات جاهزة يسـقطونها

---

[12] المرجع السابق، ص68.

[13] الربيعي، محمود، قراءة الرواية، ص38-39.

[14] الهواري، أحمد إبراهيم، البطل المعاصر في الرواية المصرية، ص50.

على النصّ، وإنّما ينطلقون من الظاهرة نفسها مهتمين بخصوصيتها.

وبالإضافة إلى الطبيعة التاريخية لصورة البطل في العمل الأدبي، يمكن أن يلاحظ الباحث تباين صورة البطل في الآداب المختلفة بما تحمله كلّ صورة من خصائص فرضتها ظروف الحياة هنا وهناك، وهذا ما يفسّر الطبيعة الاجتماعية الخاصة لشخصية البطل في العمل الأدبي، فـ(بافل فلاسوف) الثوري في رواية الأمّ لمكسيم غوركي، يختلف عن "فانون" في كونه ثورياً مسلّحاً بنظرية ثورية جاهزة ينطلق وفقاً لمفاهيمها واستراتيجيتها وتكتيكها"[15]. (إنّ لكلّ أدب قوميّ تصوّراً عن بطله الخاص يتميّز تماماً عن الآداب الأخرى)[16].

إنّ صورة البطل الإيجابيّ تكون متفائلة، وهذا لا يعني أن يكون البطل شخصية مسطّحة، وهنا تبرز القدرة الفنية لدى الروائي الفنّان الذي ينوّع هذه الشخصية بحيث تبدو ثرية، فالبطل الإيجابيّ يأمل في التغيير ولا ييأس منه، قد يسقط، وقد يتراجع، وقد يموت، الأمر الذي ينسجم مع طبيعة الإنسان وجوهر الحياة، إلاّ أنّه يستشرف المستقبل، وما أكثر العقبات التي يمكن أن تقف أمامه.

إنّ صورة البطل الإيجابيّ في الأدب، لم تكن ثابتة الملامح، إنّها صورة ديناميكية حيّة، لها طابعها المتفرّد بالنسبة إلى كاتبها، هذا الكاتب الذي قد تتباين تركيبته بين أمّة وأخرى، وبين زمن وآخر. "هذا بالإضافة إلى أنّ العالم يتغيّر أيضاً، فموضوعياً، وفي كثير من النقاط، ليس العالم مثلما كان منذ مئة عام مثلاً، لقد تطوّرت الحياة المادية والفكرية والسياسية بشكل واضح مثلما تغيّر المظهر الفيزيقي لمدننا وبيوتنا وقرانا وطرقنا...الخ، هذا من ناحية.. ومن ناحية أخرى فإنّ معارفنا عمّا فينا وعمّا هو موجود حولنا قد صادفت هي أيضاً انقلاباً صارخاً، وبسبب هذا وذلك، تغيّرت تماماً العلاقات الذاتية التي نمارسها والعالم، وإذا كانت الرواية عملاً إنسانياً يمثّل الواقع فمن الطبيعي أن تتطوّر قواعد واقعيتها بالتوازي مع التطورات الأخرى)[17].

وخلاصة القول: إنّ البطل يجسّد رؤيّة الفنّان ومبادئه التي خلقها استيعابه الجمالي للواقع الذي يعيشه، وهذه المبادئ المقدّمة من قبل الفنّان تؤثّر إيجابياً على تفكير القارئ وسلوكه، وتشكّل ملامح توجيه بالنسبة إليه، بحيث تصبح هذه

---

[15] عطية، أحمد محمد، البطل الثوري في الرواية العربية الحديثة، ص18.

[16] بور سوف، بورسي، الواقعية اليوم وأبداً، ص127.

[17] جريبه، آلان روب، نحو الرواية الجديدة، ص140-141.

المبادئ قناعات راسخة لدى من يتبنّاها. إنّ البطل الأدبيّ يقفُ في الموقع الأمامي الذي يحمل دفّة التغيير بما لديه من وعي تزودّه به الأيام، من هنا يحمل البطل طابع الفاعلية التي تتجاوز سطور الحاضر المعاين نحو مستقبل حلم، لكنه مستقبل ممكن، مستقبل واقعيّ.

والبطل في الأدب تتفاوت رسمه تبعاً لثقافة الفنّان، لكن ما يجمع ملامح الصورة الإيجابية، أنّ هذه التقنيات الفنية المختلفة تصبّ في بوتقة الهدف حيث يحثّ المؤلف قارئيه على التفكير بتصويره للموضوع.

وتبدو إيجابية البطل من خلال تجاوب القرّاء ومشاركتهم الوجدانية العريضة، وهذا ما نلمحه في صورة البطل الإيجابيّ الذي يجسد آمال وآلام الفئة العريضة من الشعب في المجتمعات التي تعاني من الاستغلال والتفاوت الطبقي، وقد تطرح صورة البطل الإيجابيّ آمالاً وآلاماً أخرى في المجتمعات المختلفة.

إنّ مفهوم البطل الإيجابي في الأدب مفهوم حيّ تتموضع فيه مواصفات وتقاطعات يقف في وسطها الماضي والحاضر والمستقبل.

وأخيراً نستطيع أن نقول: على الرغم من أنّ بعض الأعمال الأدبية التي تحمل صورة البطولة الإيجابية، قد ولدت نتيجة الصلات الثقافية بين الأمم بعد أن توغّلت الثقافة الفنية الحديثة بمساهماتها إلا أن صور الأبطال الإيجابيين في تلك الأعمال ظلت تحمل سيماء خاصّة نابعة من طبيعة الحياة الاجتماعية، وهذا ما يلاحظه القارئ في الأعمال الروائية العربية مثل أعمال: "نجيب محفوظ، حنّا مينة، عبد الرحمن منيف، الطيبّ صالح"، وفي كثير من الأعمال الأدبية على المستوى العالمي مثل أعمال: "مكسيم غوركي، شتريت ماتر، انديكرز"، وهذا ما يؤكد أنّ صورة البطل الإيجابيّ في العمل الأدبي هي صورة نسبيّة بالمنظور الخارجي مفتوحة بالمنظور الفنّي، حيث تتضمّن آفاق هذه الصورة حياة الإنسان المعاصر بكلّ تنوّعها اللامحدود، والتاريخ بفتوحاته وأحداثه الدرامية، ومجتمع المستقبل كما يتصوّره الإنسان اليوم، وعالم المقاومة الفنية، وطموحات الناس لتحويل النظام الاجتماعي وأنفسهم، وإقامة نظام اجتماعي عادل، إنّ آفاق صورة البطل الإيجابيّ تشمل المدى اللامحدود للحياة الحية والإبداع.

وإذا كان "جرييه" قد هدم كلّ دعائم الفنّ الروائي وأعلن موت الرواية، وعدم جدوى الالتزام، وألغى كلّ دور اجتماعي أو سياسي للرواية، فإن الواقع يرفض هذا المنطق، كما يرفض رؤية "جرييه" في كتابه: "نحو رواية جديدة" إذ لا رواية بدون شخصيات أو أبطال أو بشر، فالاقتصار على تصوير الأشياء في العالم الخارجي دون تصويرها من داخل رؤية البطل، فيه

قتل لأبرز خصائص الفنّ الأساسية، كالعاطفة، والفكر...، وفي قتل لوظيفة الفنّ ودوره[18].

إن النقل الحرفي لمفهوم البطل الإيجابيّ، والتطبيق الضيق له في أدبنا العربي، أدى -في النقد طبعاً وليس في الواقع- إلى طرد أعمال أدبية قيمة من دائرة الفن لمجرد أن البطل فيها لم يكن إيجابياً، ولابد من التفاهم، أولاً على أن الأحكام النقدية، تنطلق من دراسة الأعمال الفنية الإبداعية أساساً، وليس العكس، ومن الطبيعي أن الكتابات النقدية تمارس تأثيراتها في الأعمال الفنية المقبلة، ولكن التأثير الحاسم في العمل الفني يخضع للواقع الاجتماعي نفسه ولقوانين العمل الفني، وقوانين حركة تطور الفن. ومن هذا المنطلق فإن البطل الإيجابي في العمل الفني يشكل قدوة وممارسة ومفهوماً نضالياً كما يغدو ضرورة تاريخية، اجتماعية، روائية.

يقول حنا مينه "ولقد هجست طويلاً بالبطل الإيجابي وبعلاقته بفكرة الماضي، لا في الزمن وحده، حيث ينقلب الحاضر فوراً، إلى ماض، مؤكداً السيولة الزمنية، وإنما في المكان، حيث يتغير كل شيء، من الإنسان إلى الجماد وفي كل لحظة، دون أن نشعر، ويغدو الإنسان غير ما كان، بيولوجياً جغرافياً"[19].

وهذا يعني أن البطل الإيجابي يعيش مع الحاضر إلا بما هو حلقة اتصال بالمستقبل، ويترابط مع الزمن ليصبح تفكيره مستقبلياً.

إن هذا البطل ليس أبداً شخصية مثالية مختلفة، بل هو تعميم نموذجي للصفات الواقعية الموجودة عند هذه المجموعة الاجتماعية أو تلك، وفي هذا المجال يجدر بنا أن نلاحظ أن تلك الشخصية الأدبية التي يصورها الكاتب لتمثل نموذجاً يحتذى ولتكون قدوة في السلوك الإنساني تحمل المثل والأفكار الجديدة في عصرها لذلك قد يعتقد بعض الناس أن تطوير الشخصيات الأدبية عمل سهل، وليس هذا الاعتقاد سليماً، لأن تكوين الشخصية الأدبية من أصعب الأشياء إذ لابد أن يرسم الفنان ملامحها رسماً بينياً من حيث أفكارها ومشاعرها وعواطفها لأنه يصور حياة نفس بتفاصيلها، وأن يظهر في تصويره البراعة والجودة الفنية.

ولابد أن يكون لهذا المصور ذوق الفنان وبصيرة العالم المدقق في البحث والحدس (بيد أن البطل وإن مثل الواقع لا يشترط أن يمثل الصواب دائماً، لأنه إذا كانت الملامح الفكرية المجسمة في

---

[18] المرجع السابق، ص162.

[19] مينة، حنا، هواجس في التجربة الروائية، ص95-96.

الشخصية الرئيسية تعتبر شرطاً ضرورياً لتوضيح المركز الرئيسي في التكوين الفني فإنها لا تحتاج بالضرورة إلى أن تعرض التصورات الدقيقة من وجهة النظر المتصلة بالمضمون)[20].

إن التطابق بين وجهة نظر الكاتب الذاتية إلى البطل الإيجابي والجوهر الموضوعي للشخصية التي يرسمها تتوقف على درجة فهمه لقوانين التطور الاجتماعي وعلى الموقف الفكري الذي يحتله في ميدان الصراع بين القديم والجديد، وهذا يعني أن دراسة البطل الإيجابيّ يجب أن تنطلق من الظروف التاريخية المحددة فدونها لا نستطيع أن نفهم الجوهر الموضوعي.

لذلك فإن دافع وجود ملامح البطل في أدبنا العربي الحديث وضرورة تنامي هذا الوجود يقتضي أن نكشف فعلاً عن حركة الواقع وتعقيداته وهذا ما عبّر عنه فيشر بقوله: "وإذا كان الفن حريصاً على أداء وظيفته الاجتماعية فلا بدّ له أن يبين أن هذا العالم متغيّر وأن يساعد على تغييره"[21].

---

[20] فضل، صلاح، منهج الواقعية في الإبداع الفني، ص160.

[21] فيشر، أدنست، الاشتراكية والفن، ص77.

REFERENCES المراجع

- Siehe Wuckel, D.: "Litreratur", in: Kasper, K. und Wuckel, Dr. (Hrsg), Grund begriffe der Literaturanalyse, 2. Aful. Leipzig 1985, S. 27ff.
- Siehe Berger, Chr.: Der Autor und sein Held, Berlin 1983, S, 19.
- أدفينا كوف، خاربشنكو، جماليات الصورة الفنية، ترجمة رضا الطاهر، دار الهمـــداني، عدن، الطبعة الأولى: 1984.
- جماعة من الأساتذة السوفييت، أسس علم الجمال الماركسي اللينيني، تعريب الدكتور فؤاد مرعي، دار الفارابي: 1978.
- الهواري، أحمد إبراهيم، البطل المعاصر في الرواية المصرية، منشورات وزارة الإعلام العراقية: 1976.
- عيّاد شكري، البطل في الأدب والأساطير، القاهرة، طبعة أولى (1959).
- الربيعي، محمود، قراءة الرواية، دار المعارف، القاهرة، 1974.
- عطية، أحمد محمد، البطل الثوري في الرواية العربية الحديثة، وزارة الثقافـــة، دمشـــق 1977.
- بور سوف، بورسي، الواقعية اليوم وأبداً، 1973.
- جريبه، آلان روب، نحو رواية جديدة، ت: مصطفى إبراهيم مصـــطفى، دار المعـــارف القاهرة.
- مينة، حنا، هواجس في التجربة الروائية، دار الآداب، بيروت، طبعة أولى 1982.
- فضل، د.صلاح، منهج الواقعية في الإبداع الفني، دار المعارف مصر، ط2، 1981.
- فيشر، أرنست، الاشتراكية والفن، دار القلم، بيروت 1973.